بين طبعنا وتطبّعنا

اللواء ٢٠ شباط ٢٠١٨

انساننا مولودٌ اساساً في بلاد صافية سماؤها، حادّة شمسها، خصبة تربتها، بالغ الحضارة منذ أجيال عريقة في القدم، قبل ان تتوالى على أرضه عدّة ممالك متمدينة، حظي بدلال الطبيعة، ومتمتع باجمل غرائزها من ذكاء حاد، ودماثة اخلاق رضية، ومرونة في التطبع، وسعة في الأفكار، مما يجعله، مع حفظ عوائده، يتخلق باخلاق من شاء من البشر ويباري غيره في طباعه، ويحسن التكلم باللغات الأجنبية ويتمكن من معرفة اسرارها حتى تسمعه يلثغ باللغة الفرنسية فلا يختلف عن أهل باريس، ويدير لسانه بمهارة في فم مُغلق حتى لا يفرق عن أحرار الانكليز، إلى غير ذلك من اتقان سائر اللغات التي لا يتميّز فيها من أصحابه. بينما لا يكاد غيره يقدر ان يتمثل به.

قضى القدر ان يتغلب العنصر الأوروبي على شرقنا في أحسن احوالنا. وحتمت علينا الأحوال وخيانة الدهر ان نرانا متقهقرين من عدّة وجوه. فاستيقظنا من رقادنا ورأينا الأجانب سبقونا وتفوقوا علينا بالعلوم والصنائع ولا سيما في العلوم التقنية. فبُهرنا من تقدمهم واخذنا ننظر إليهم نظرة الإعجاب في كل اطوارهم التي تتفاعل ومحيطهم الخاص، وعدنا لا نعرف ان نميز بين السم والدسم وبين ما هو تمدين أو تقهقر. فاخذنا نتحداهم تحدياً اعمى غير جاعلين قبلة عزائمنا التشبه بجلة القوم وبالطبقة الراقية. بل متمثلين بعيوبهم أكثر منا بصفاتهم الحسنة، وقد فاتنا ان التمدين لا يقوم باختراع الآلات وتسهيل طرق المعاش وحسب بل ينبغي ان يكون مرتبطاً بالمبادئ القويمة والاخلاق الحسنة والسعي لتخفيف ويلات الإنسانية. فهذا التقليد الأعمى انتشر فينا إلى حدّ ان سرت منه أمراض كثيرة في حياتنا الفردية والعيلية والاجتماعية.

د. جهاد نعمان